دراسة تحليلية فنّية لرحلة إبراهيم عبد القادر المازنى(رحلة إلى الحجاز)

روبينه ناز*

Abstract

Ibrahim Abdul Qaadir is one of the leading writer and poet of the modern time. He travelled to Hejaz in 1930 to participate in the celebrations of the party of King Abdul Aziz. He was the representative of the political magazine of Egypt and wrote about this travel, "Travel to Hejaz" his style of writing is significantly different from the contemporary writings. Thus this travelogue is a piece of literature in which there is essence of mazni's culture and his amusement and playfulness. So in this article, first, I will briefly account the life history of mazni, and will present a short summary of the travelogue. Then I, will offer the analytical study of his art of writing and will give the detail of different aspects of his art, such as description, narration, events, characters, and trends / style of language.

Keywords: Ibrahim Abdul qaadir Almazni, travel to Hejaz and its experience; analytical study.

المقدمة:

إبراهيم عبد القادر المازنى من رواد الكتّاب وشاعر من شعراء العصر الحديث. سافر إلى الحجاز سنة **١٩٣٠م** للمشاركة فى الاحتفال الأول بذكرى جلوس الملك عبد العزيز. وقد شارك المازنى كمندوب عن جريدة السياسية المصرية، وكتب عن هذا السفر. يختلف أسلوب المازنى فى تدوين الرحلة عن الأسلوب العادى أو الشائع، فإنّ هذه الرحلة قطعة أدبية تتضح فيها روح المازني وثقافته ودعابته وسخريته.

ففي هذا المقال الموجز سأقدم ترجمة موجزة لكاتب إبراهيم عبد القادر المازنى، ثم أعرض ملخصا للرحلة، وأقوم بالدراسة التحليلية الفنية وأذكر النقاط الآتية مثل الوصف والسرد والحوار والشخصيات والأسلوب واللغة عند الكاتب.

إبراهيم عبد القادر المازني

حياته:

اسمه:

"هو إبراهيم بن محمد بن عبد القادر المازنى ، شاعر مصرى من شعراء العصر الحديث، عرف كواحد من كبار الكتاب في عصره كما عرف بأسلوبه الساحر سواء فى الكتابة الأدبية أو الشعر"[1].

* طالبة الدكتوراه فى كلية اللغة العربية بالجامعة الاسلامية العالمية، إسلام آباد-

مولده:

ولد المازني في قرية "كوم مازن" التابعة لمركز تلا بمحافظة المنوفية فى يوم الثلاثاء **١٩** أغسطس في عام **١٨٨٩** في القاهره فى المملكة المصرية جمهورية مصر[2].

أسرته:

كان والد عبد القادر المازني مدرساَ للغة العربية ثم عمل محامياً شرعياً كما كان مسؤولاً عن الشؤون الشرعية في القصر الملكي[3]. وترجع جذوره إلى قبيلة بني مازن بن تميم بن مر وهي من أشهر القبائل العربية بأرض الحجاز، وهاجر فرع من هذه القبيلة إلى مصر واندمج بالسلالة المصرية لتصبح عائلة المازني مصرية تماماَ، فأصبح المازني بذلك مصري الجنسية [4].

نشأته:

نشأ في بيئة متوسطة في حى من الأحياء الفقيرة وعاش مدة طويلة في حى الإمام الشافعى المجاور للصحراء. وقد مات أبوه وهو صبي فذاق مرارة اليتم وشظف العيش..

تعليمه:

درس الشاعر الطب ولكن لم يستطع الاستمرار بهذه الكلية إذ تركها بعد أن أغمي عليه في صالة التشريح التابعة للكلية ، ثم اتجه بعدها إلى دراسة الحقوق وتركها. واتجه في النهاية إلى مدرسة المعلمين وعمل بالتدريس وبعدها عمل بالصحافة حتى يكتب بحرية ، كماعمل في البداية بجريدة الأخبار مع أمين الرافعي، ثم عمل محررا بجريدة السياسة الأسبوعية ، كما عمل بجريدة البلاغ مع عبد القادر حمزة وغيرها من الصحف الأخرى، وعرف عن المازني براعته في اللغة الإنجليزية والترجمة منها إلى العربية فقام بترجمة العديد من الأشعار إلى اللغة العربية، وتم انتخابه عضواً في كل من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي العربي بمصر.

أعماله الأدبية:

قدم المازني العديد من الأعمال الشعرية والنثرية المميزة ومن أعماله: إبراهيم الكاتب، وإبراهيم الثاني – رواياتان ، أحاديث المازني– مجموعة مقالات ، حصاد الهشيم ، خيوط العنكبوت ، ديوان المازنى ، رحلة إلى الحجاز، صندوق الدنيا ، قصة حياة ، هذا بالإضافة لمجموعات كبيرة من المقالات، كما قام بترجمة العديد من الكتب المهمة مثل رباعيات الخيام وقدم ملخصات لروائع الأدب العالمى ونشرها فى مجلة (الصباح). وإضافة إلى كل هذا فقد كان صاحب الدعوة إلى إيجاد منهج جديد فى دراسة الأدب العربى والدعوة إلى نظرة جديدة إلى الأدب المصري[5].

عُرف الأديب إبراهيم عبدالقادر المازني من رواد الأدب وأعلامه ، وقد كان قمة من قممه واقترن اسمه مع الرواد كالعقاد وطه حسين وعبدالرحمن شكري وأحمد أمين وغيرهم من الأدباء العمالقة الذين كان لهم دور في

الحياة الأدبية ، ورسموا للكتّاب والأدباء جوانب وملامح الأسلوب الأدبي في مختلف الموضوعات الاجتماعية والفكرية[6].

وفاته:

وقد توفي بمصر سنة ١٩٤٩م[7].

ملخص لرحلة إبراهيم عبد القادر المازني

(رحلة إلى الحجاز)

هذه الرحلة كانت لإبراهيم عبد القادر المازنى الّذى أشتهر بأسلوبه الساحر في كتابة النثر والشعر، سافر إلى الأرض المقدسة لأداء العمرة في تلك الحقبة التاريخية عندما هزم عبد العزيز جيش الدولة العثمانية وابن رشيد وتحرّر من حكم العثمانين، وواجهت الأمة العربية المسائل العديدة والأوضاع الحرجة عند حدودها مع السلطات البريطانية وكذلك مع رؤساء القبائل المحلية في جزيرة العرب. وخلال سفره كان يفكر في الأمة العربية التى باعت مجدها. ويقارن بين الماضى والحاضر وكذلك بينها وبين الشعوب المتقدمة. وقد ذكر الكاتب فيها تفاصيل الحجاز بالتفصيل ووصف فنادقها ومبانيها وطرقها، والحرم والكعبة المشرفة وبئر زمزم والحجر الأسود. وتحدث عن العادات والتقاليد السائدة فى الأكل والملابس فى الديار المقدسة فى ذلك الوقت ، وكذلك ذكر بعض المعطيات الحضارية التي بدات تدخل إلى الحجاز مثل الهاتف ونظام الأكل وغيره.

الدراسة الفنية

1 – الوصف:

هو تصوير المشاهد وتقديم الشخصيات والتعبير عن المواقف والمشاعر والانفعالات. ويرى ابن رشيق القيرواني بأن: "أحسن الوصف ما ينعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع"[8] و" الوصف هو الوسيلة التى يرسم الكاتب بها جوانب البيئة ويصور الشخصيات وهيئتها وأحوالها النفسية "[9].

أسلوب المازنى في الوصف مختلف فهو لا يعتمد في صفة من الصفات والأشياء من الخارج بل يصفها في أسلوب رشيق وفي تصوير دقيق وفي نسج أنيق حتى يكاد يمثله عيانا للسامع. فهو مرة يصف المكان ومرة يصف الزمان ومرة يصف المواقف ومرة يصف الشخصيات ومرة يصف عاداتهم وخصائلهم وكذلك الحكومة وعمالها ومرة يصف الطبيعة. وعند التأمل نعلم جمالية وصفه وماهيته ووظيفته. وهو يستخدم الوصف الداخلى أكثر من الوصف المباشر. ويرسم صورة الغائب في صورة الحاضر. كما فسر ادريس الناقوري الوصف "والوصف نسقا من الرموز والقواعد تستعمل لتمثيل العبارات أوتصوير الشخصيات أي مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية "[10] نرى في رحلة المازنى صورة عديدة للوصف مثلاً:

وصف المدينة: فوصف المدينه وأشار إلى أهلها وعمالها ومساجدها ومبانيها، ومهنتها قائلاً :

" وركبنا زورقا إلى المدينة ، وهى صغيرة فقيرة ، وأهلها وكلاء للتجار أو عمال لهم وليس فيها زرع ولا ضرع ، .... إنه لا خوف منهم لأنه ما من أحد يجرؤ أن يسرق شيئا "[11].

زار المازنى المدينة في المرفأ حين رست باخرته، ويأتى بوصف دقيق حتى يشير إلى أهلها وعمالها ومهنتهم، والمساجد التي فيها. أنها هي مدينة صغيرة فقيرة ، وليس فيها زرع ولا ضرع. وأهلها وكلاء للتجار. وأشار إلى أخلاقهم وعاداتهم خاصة إلى القهوة النجدية وكرم الضيف. وزار السوق ورسم السوق وذكر أنها حارة ضيقة وعلى جانبيها الدكاكين، ويوجد فيها من العطارة والمنسوجات والخبز والأسماك والجراد. وكذلك أشار إلى الأمن الّذى شاع فيها، أن عندما إقترب وقت الصلاة ، التجار يتركون دكاكينهم مفتوحة ويفيضدون إلى المساجد للصلاة . أما السوق فكانت غاصة بغلمان الفقراء ولا يسرق شيئا[12].

وصف الطبيعة: المازنى يمشى على ظهر السفينة ، ويرى إلى الشمس ، ثم إلى البحر. فقد أثر تألق الشمس وجمال البحر عليه، ونازع نفسه بهذا منظر الحسن في السماء والأرض حتى يريد أن يغني ويعرب عن هذا الأعجاب . فوصف هذا المنظر قائلاً:

" لم ار أبدع من هذا الجو من قبل ، وإنه لا عهد لى بمثل هذا التألق في الشمس والجمال في البحر، .... فرفعت صوتى أريد أن أغني" [13].

وصف العادات والأخلاق: أشار إلى عادات العرب وطبيعة البدواة ، وأخلاقهم، ووصف جودهم وسخاوتهم وكرمهم أن العرب جميعا يبالغون في مقدار مايطعمون ضيوفهم من الأطعمة الشهية بل يبذلون لهم أكثر من مقدوره . فقال :

" وكرم العربى ليس ككرم سواه فهو مرة يكرمك ويبذل لك كل ما يدخل في طوقه بل فوق ما في مقدوره .... "[14].

وصف الطعام: المازنى لا يترك أى موقف إلا يصفه ، فعندما يذهب إلى المأدبة ، يرسمها بتفصيل حتى المدعوين ومكان الدعوة والطاولة والكراسى والآنية والماكولات والمشروبات. وطريقة تقديم الطعام وأنواعه وألوانه وحتى رائحته. ولا ينسى ذكر الخراف التي يذبحونها للضيوف ، ولا تخلو أى مأدبة منها، إن كانوا يأكلونها أم لا. فيقول:

" وكان أمام كل نحو ثلاثة من الضيوف كرسى واطئ عليه طشت كبير غاص بالأرز المحمر المخلوط بالصنوبر والزبيب وما إلى ذلك وفوق هذا كله كبش محمر تفوح رائحته المغرية "[15].

وصف الجيش: جاء الأمير لزيارة الكعبة ، فوصف المازنى جيشه الّذى قام في صفين إلى جانبي الطريق لاستقباله وكذلك حاشيته وعبيده الّذين كانوا أمام الأمير وخلفه ويساره ويمينه في ثياب مزركشة، ويحملون المباخر. وكذلك أشار إلى الموكب والزحام الّذى كان في الحرم . فقال :

" وكان الجيش صفين في الطريق من دارالحكومة إلى الحرم ، وتلاميذ المدارس صفوفا في فنائه .... في ثيابهم المزركشة وفي أيديهم المباخر"[16].

وصف القصر: أشار إلى قصر الملك الّذى كان في طرف من المدينة وبيّن طوله وبناءه وجناحيه وغرفة الإستقبال أنها مفروشة ببساط من المخمل وكذلك يصف المقاعد والستائر والعمد التى تحمل سقفه فقال:

" وقصر الملك في طرف من المدينة ، وهو طويل عريض مبنى بالاجر وله جناح جديد هو الّذى دخلناه ، وفي فنائه حديقة صغيرة " [17].

2 – السرد:

يحتل السرد مكانة هامة في الأعمال الأدبية. وهو الجز الأساسى في جميع الأجناس الأدبية. وقد يلجأ الأدباء إلى السرد في إنتاجهم الأدبي. ويتضمن النص السردى خطابا أو أحداثا يوجهها السارد إلى المتلقى ومن هنا يكون السرد " خطاب السارد أو حواره إلى من يسرد له"[18]. ونتعرف في السرد على الأحداث والأشخاص والزمان والمكان ويغلب عليه الزمن الماضى والأسلوب الخبرى، وهدفه سرد الأحداث ونقلها.

فنص الرحلة في جوهره مجموعة من العناصر الفنية من حدث وشخصية وزمان ومكان ، وقد يطلق على طريقة تقديم تلك العناصر وتقديمها بصورة فنية .

أسلوب السرد:

فأى قصة مهما كان نوعها لا تتحدد فقط بمضمونها ، بل من الضرورى الأهتمام بالشكل الّذى يتم به ، ومن خلاله تقديم هذا المضمون أى عملية السرد التي تعتبر المجال الّذى تنكشف من خلاله جوانب الإبداع لدرجة أنه يمكن القول : " بأن قيمة الحكاية لا تقوم فيها بحد ذاتها بقدر ما تقوم في عملية سردها"[19].

للسرد عدة طرائق منها طريقة السرد المباشر وطريقة الملحمية وطريقة الترجمة الذاتية أى يكتب القاص القصة بضمير المتكلم وطريقة الوثائق أى طريقة الرسائل والمذكرات كما يشير إلى ذلك عز الذين إسماعيل والدكتور عبد الرضا على .

في كل رحلة ، الراحل هو عالم بكل شئ ، يعطينا فكرة مفصلة في وضع الأحوال الكلية. ففى رحلة الحجاز يستعين المازنى بسرد مشوق ويجعل القراء كأنهم يسافرون معه. ويلقى الضوء بالأدوات والدلالات على نفسيات الشخصيات، وليس هدفه سرد الأحداث والأفعال والمشاهدات بل يستخدم العنصر النفسى خلال سرده ليكسب حيوية ويجعل به نصا فنيا. فهذا لا يساعد فقط للقراء لمعرفة غرض الكاتب ولكن أيضا يساعد الكاتب على ايصال الرسالة الحقيقية إلى القراء .

وهنا سأحاول ذكر بعض العناصر السرد وأشكاله يستخدمها المازنى ومن عناصر السرد التى وظفها المازنى الاستطراد ، الّذى يوقف مجرى الأحداث وتطورها، ففى الطريق إلى وادى فاطمة قد اصطدمت سيارته بحفرة ، فارتفع عن مقعده وغطى عيونه بطربوشه الّذى هوى إلى أنفه ، فقد ذكر بتفصيل حتى أفرد ثلاث صفحات له، مثل ماذا فكر ، وكيف شد الطربوش من زره ، وكيف خرج الزر، ثم طلب الدبوس من صديقه لأنه لا يريد أن يبدو على الناس بغير زر ، وهو إبراهيم أفندى عبد القادر المازنى ، وقد جرى بعد ذلك حوار طويل بينه وبين زميله[20].

وكذلك إذا دعى إلى مأدبة رسمية في قصر الكندرة ، ففكر أن يكون فيها وزراء الدول وقناصلها. فعليه أن يكون فيها فخرا لبلاده وعنوانا على ما بلغته من الحضارة والرقى. فذكر عن فن الانحناء ، أى لمن يكون وكيف يكون وفي أى وقت يكون ، وكيف قام بممارسته وتدّرب لاتقانه وإجاده. فأخذ لذكره من صفحة ٩٦إلى١٠١.

كما وصف المازنى الإسترجاع ، فاستحضر من خلاله الماضى ، مما أضفى على النصوص جمالا فنيا وأوجد قناة تثرى المتلقى وتسد الفجوات السردية.

هو ما فهم الوقت بالحساب الساعة العربي في الحجاز وفي ذكره قد عرض قصة من حياته أن وزارة المعارف في مصر كلفه على تدريس الحساب منذ نحو عشرين سنة. فأعترض وأحتجج عليه ، لأنه لا يصلح لتعليم الرياضة، وذكر كيف يأخذ الأوراق من فرقة العالية ، ثم يحفظ ويراجع على زملائه، وبعد ذلك يلقى الدرس على التلاميذ ، ومع ذلك يخطئ في كل مسألة يطرحها للطلاب ، فيرجع إلى الماضى ويذكر تلك الحادثة بتفصيل ويربط بين الماضى والحاضر[21].

واستعان المازنى بالوصف " الّذى يعد علامة في إبداع السرد ، يلجأ إليه الكتاب ليقدموا نصا يلتصق بالواقع ويسجل الأحداث ، ويقنع المتلقى بحقيقتها، فهو يؤدى وظيفة واقعية ، تعمل على مساعدة القارئ على الإحساس بواقعية الأحداث ، أو تصورها من وجهة نظر خاصة [22]".

وقد يكسب النص السردى بالوصف قيمة فنية ، وأخرى معرفية ، فالكاتب يقدم لنا العالم الّذى يشاهده، ويعيش أحداثه، وينقل مايسمع. وفي رحلة المازنى أجد الوصف حاضرا، وبقوة ، مما أضفى على السرد قيمة فنية، وتزيد من وعى المتلقى، ويجعل النص أكثر ملامسة للواقع. ومن ذلك وصف الكاتب بتفصيل دقيق بما شاهده في طريقة صنع القهوة وتقديمها. يقول : " وأديرت علينا القهوة النجدية وأمرها عجيب ، ذلك أنها خليط من البن والمرى والحبهان ويجيئونك بها في إبريق كبير من النحاس ، يحمله الخادم في يسراه وفي يمناه الفناجين الكبيرة بعضها في بعض فيصب من الإبريق مقدار رشفة في الفنجانة ويقدمها لك [23]

– الحدث:

إن العالم مليئ بالحوادث ولكن الكاتب الفنان يختار منه مجموعة ويرتبها منطقيا ويجعلها وحدة ذات دلالة محدة. ولا بد أن يكون وقوع الحادثة في زمان ومكان ، وله كيان ومعنى.

يقول عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق : " الحدث مجموعة الأفعال والوقائع مرتبة ترتيبا سببيا، تدور حول موضوع عام ، وتصور الشخصية وتكشف عن أبعادها وهي تعمل عملا له معنى ، كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى ، وهي المحور الأساسى الّذى ترتبط بباقى عناصر القصة ارتباطا وثيقا كارتباط الخيوط معا في نسيج بشكل قطعة قماش"[24] .

فإن الرحلة تختلف عن القصة في استخدامها هذا العنصر، وقد تغيرت فيها الأحداث مع انتقال الراحل من مكان إلى آخر كما توجد في رحلة المازنى ، فالحوادث التي صادفته في رحلته ، هي سلسلة من

الحوادث التي وقعت خلال سفره ، والتي مر بها أو عرفها بطريق من الطرق واتخذ موقفا معينا وفلسفة خاصة، ولها ترتيب زمنى ووضع مكانى. وقد نجح في إعطاء الحيوية الفنية حتى اذا قرأنا نحس إحساسا كبيراً وتأثيراً مؤثراً.

عندما أرى إلى رحلة المازني فهو يسرد كل حادثة التي شاهدها أو وقعت له من بداية رحلته إلى نهايتها. لما يصل إلى جدة فيذكر عن حالة البحر أنه هادئ وهو نائم وما شعر أكثر من حركة التنفس أما رفقائه يتحدثون عن هياج البحر. وحتى اتكفأ بعضهم فوق بعض. ويشير إلى أحداث بسيطة وصغيرة التي حدثت خلال سفره ويذكر قد جاء قائممقام جدة الشيخ عبد الله رضا الزميلى والشيخ محمد نصيف من الأعيان لاستقبالهم على رصيف جدة. ثم إفترق جميعهم إلى ثلاثة فئات ، واحد منهم قد استقر في بيت الشيخ محمد نصيف والثانية في بيت الشيخ الفضل، والثالث في دار حسين أفندى العوينى، وبعده ذهبوا إلى زيارة القنصيلة أى القنصلية المصرية لأداء واجباتهم. وقد وصف وليمة وأثنى على أهل الحجاز أنهم يعرفون الأكل على الطريقة الحديثة الغربية .

"لا توجد في الحجاز الفنادق والمطاعم العامة ، ولكنا دعينا في كل مكان حتى في قلب الصحراء أو تحت الخيام إلى مواعد على الطريقة الغربية عليها من الآكال وما يندر أن تقع عليه العين أو يذوقه اللسان حتى في مصر المتحضرة "[25].

فأرى أنه عندما ما يصل إلى أى مكان فيذكر كل الحوادث التي يتعلق بالمكان إما صغيرة أو كبيرة . ومع انتقاله إلى مكان آخر قد يشير إلى تلك الحوداث التي صادفته هناك. فأحداثه مرتبة ترتيبا زمانيا ومكانيا ، أى كل حادثة تتعلق بمكان خاص وزمان خاص ولا يشير إلى الأحداث التاريخية بل يسرد الأحداث التي واجهها في نظام معين.

كما أرى في رحلة المازنى أنه يسرد حادثة الحريق الّذى أصابت سيارته في طريق مكة . تناول الغداء عند صاحب شركة القناعة للسيارات ، ثم خرج إلى مكة على السيارة التى فخمة وجديدة. فحاور مع السائق لسرعة السير ، حتى يبلغ إلى مكة قبل العشا ، لأن طعام العشاء كان عند سمو الأمير في قصر جلالة الملك فيقول : "في الطريق أصاب الحريق بسيارة"[26] ، فخرجوا بسرعة لكن سقطت عصا المازنى على الأرض. وبعد قليل عالج سائق السيارة وبدأ السير، ولكن أخرج المازنى رأسه طول الطريق من النافذة لينظر إلى العجلة ويخبر السائق إن واجهت السيارة الحريق مرة ثانية فقال :

" ومازلنا به نلح عليه ونحاوره ونداوره حتى أطلقها ومض بسرعة خمسين كيلو..... وجعلت وكدى طول الطريق أن أخرج وجهى من نافذة السيارة وأنظر إلى العجلة من ناحيتى وأن أشم ، لعل الدخان صاعد ، وأنبه السائق"[27].

فيسرد المازنى تلك الحادثة بأسلوب رشيق ويستخدم الكلمات التي تدل على حيوية ويشوق القارئ إلى قراءته.

فرحلته تتضمن سلسلة متصلة من المواقف والحوادث وانبثاقات عاطفية شتى التي تؤثر على شعور الكاتب ويضغط على نفسه حتى يشعر القارئ كأنه يرحل معه. ولا تدور أحداث رحلته حول حادثة واحدة وكبيرة مثل الرواية والقصة لكن أحداثها قد تغيرت وتحركت وتوجد بينها الربط والنسج. وتجرى على ترتيب زمانى ومكانى. حتى يعطينا الفهم الكامل والشامل مثل القصة والرواية كأن نقرأ القصة التي تمشى إلى نهاية مثمرة .

4 – الشخصيات:

لقد شغلت الشخصية موقعا مهما في الدراسات النقدية الخاصة بالسرد باعتبارها العنصر الأساسى. وقد تقوم الشخصية بدورهم مهم في ربط خيوط الحكبة السردية، كما تدل على علامات إجتماعية وسياسية وثقافية مختلفة. ويقابلها القارئ ليصرفها ويتفهم دورهما أو يحدد موقفها. ويجب أن تكون هذه الشخصية حية، فالقارئ يريد أن يراها وهي تتحرك وأن يسمعها وهي تتكلم. ويريد أن يتمكن من أن يراها رأى العين كما يشير إلى ذلك عز الدين اسماعيل. وقد يكون في المجتمع أنواع من الناس، ويوجد التشابهة فيما بينهم. فبعضهم يتحدون في أحوال ميلادهم ونشأتهم وبعضهم يتفقون في عاداتهم وأخلاقهم وحاجاتهم ووظيفتهم. فيقول محمد غنيمى هلال : " إذ رأى المرء واحدا منهم. فقد رأهم جميعا، فعندما ندرس شخصية معينة ندرسها كانموذج المختار لكل طبقة من طبقات هؤلاء الناس"[28].

وقد يكون في القصة نوعان من الشخصيات ، نسميها " الشخصية الجاهزة أو المسطحة ، والنوع الثاني يمكن أن نسميها الشخصية النامية أما الشخصيات فى الرحلات فكانت مختلفة على الأغلب. فالكاتب يستعين بشخصيات ويصفهم من حيث الأبعاد، لأنه ليس فيها البطل والعقدة التى تنمو وتتطور مع مرور الوقت حتى يصل إلى النهاية.

" إن الأشخاص يعملون جزءا كبيرا من حياتنا إذا نحن قدرنا ألوان التفاعل التي تتسم بيننا وبينهم، والتي تثير كثيرا من المشاعر، وألوانا من العطف وتولد الفكرة"[29].

قد تقسم الشخصيات إلى ثلاثة أنواع ويصفها المازنى خلال رحلته حيث بعد الجسمى وبعد الإجتماعى وبعد النفسى. فأرى عندما وقفت باخرته في رابغ ، فأحرم بعض الناس الّذين ينوون زيارة بيت الله ، فعندئذ ظهر بينهم رجل وحوله حاشيته ، يلبسون سلاحهم ، فظهر شأنه من عبيده وأتباعه يقول " إنه أمير في قومه وحوله حاشيته الكبيرة من أتباعه وعبيده ، وكلهم محرم ، والإحرام لا يمنع أن يلبس المرء سلاحه ، فكانوا يحملون فوق ما أحرموا به المسدسات والخناجر وأحزمة الخراطيش واتصلت بيننا وبين الأمير الأسباب"[30] ويشير المازنى إلى سائق السيارة الّذى كان معه في مكة المكرمة ويصفه حيث بعد الجسمى والإجتماعى ويذكر أنه مصرى الأصل وكان على أيام الحسين أحد ومن رجال الفرقة الموسيقى الحربية وأثنى على عاداته وأخلاقه وفصاحته وبلاغته ويشير إلى قوة الفكر ومزاجه وإنفعاله فيقول: " وأبرز صفات هذا الشباب الجرأة والإستقلال مع الأدب الوافر، وحديثه ممتع وفي لغته فصاحة وفي صوته عذوبة وفي عينيه حلاوة ، ولو كان الغناء مباحا لكان الأرجح أن نسمع منه شدوا مطربا"[31] .

ويشير إلى الأمير ويذكر صفات جسمه من لون وقصر ودماثة ويذكر قوته وحنينه الّذى يظهر من شخصيته ، ويصفه من حيث الأبعاد الثلاثة يقول : "والأمير في الرابعة والعشرين من عمره ، وهو نائب الملك في الحجاز كما أن أخاه الأكبر الأمير سعود نائب الملك في نجد ، وثيابه ثوب أبيض (كالجلابية). وهو قسيم وسيم حلو النظرة عذب الأبتسامة وديع ، ولكن نظرته حين يصمت تبدو حزينة، وفي تقوس شفتيه وذقنه مرارة لا تخلو من تصميم. وأغرب ما في وجهه إجتماع اللين والصلابة والرقة والقوة "[32].

هو يستخدم الأفعال التي تدل على الحيوية والأنفعال مثل : حزينة ، ومرارة ، واللين، والرقة. وكذلك يشير إلى قوة الأمير ووقاره وحنينه ووصف شخصيته أنه ذات فهم، كأن العالم يمشى وراء أفكاره، ويختفى العالم وراء حجاب عيونه. فيخلق للقارىء التشوق والتجسس حتى يود القارئ أن يتعرف عليه أكثر من ذلك ويقرأ عنه المزيد .

وقد يذكر عبد الوهاب ويشير إلى فطانته وفصاحته وإتقانه للغات الأجنبية ومعرفته إلى أيام العرب . ومع ذلك إلى رفقه ورحمته ودماثته وظرفه وفكاهته، وكل واحد يشتهى أن يجلس معه ويتمتعه بكلامه[33].

يستخدم المازنى الألفاظ التي تخلق الحيوية في أسلوبه وكذلك التشوق والرغبة في قلوب القرأء إلى شخصية عبد الوهاب . مثل يأنس ، يشتهى ، أبرع ، أظرف .

يمدح العوينى ويصفه من حيث شأن الإجتماعى والنفسى ، " أنه مثل زعيم محلى، وله تجارة، وخلال ثورة السورية أمدها بماله وبتدبيره ، وتولى على السجناء وعلى أهلهم الطلقاء ، فيشير إلى جهده وعنايته لشعبه وكذلك يشير إلى نشاطه وحسن تدبيره والسرعة والرائعة في انجاز الأمور وحضور الذهن وإتقاد الخاطر"[34].

فيستخدم الألفاظ التي تدل على شخصية متحركة ورموز فاعلية مثل حسن التدبير والسرعة الرائعة وحضور الذهن وتنظيم الأمور.

فإن المازنى تعامل مع هذه الشخصيات واصفا اياها من الخارج ، فلم يدخل إلى عمق الشخصيات ، بل يكتفى من الشخصية ما يفيده فى عرض فكرته .

الحوار:

الحوار كان من عناصر المسرحية خاصة ويستخدم في جميع العناصر الأدبية عامة. وإذا يستخدم في الرحلة بطريقة جيدة ، كان من أمتع عناصرها. فهو الجز الّذي يقترب فيه الرحيل أشد الإقترب من الناس فيزيد فيها الحيوية والصدق، ويعرض الإنفعالات والدوافع والعواطف من أعماق النفس. يقول توفيق الحكيم :

" وليست مهمة الحوار أن يروى ما حدث لأشخاص بل مهمته أن يجعلهم يعيشون حوادثهم ، أمامنا مباشرة . ولا تقف مهمة الحوار عند رسم الحوادث وتلون المواقف، بل هو الّذي يعول عليه أيضا في تكوين الشخصيات ، فلا بد لنا أن نتعرف عن طريقة طبائع الأشخاص ودخائل نفوسهم ، فهو الّذى يجب أن يظهر لنا ما ظهر منهم وما خفى ، ما يفعلون أمامنا ، وما ينوون أن يفعلوا مايقولون لغيرهم من الأشخاص وما يغمرون لهم في أعماق النفوس"[35].

يستخدم المازنى أسلوب الحوار في رحلته بجانب الأسلوب السردى والأسلوب التصويرى ويعمد إلى نسج عمله السردى من خلال " بنية لغوية وحيدة يشغل من خلالها مساحات عمله المكانية والزمانية بالأحداث والمواقف ، والوسيلة لتحقيق ذلك تكمن في الحوار الّذى يعد مفتاح الشخصيات، ورسم الحدود"[36].

فلا يأخذ صورة لسوال والجواب بين شخص وأخر بل ينقلنا بالحوار إلى الحياة ويتمثل الأشخاص في أزماتهم وصراعهم وأفكارهم كما تقع في الحياة العادية. ولا يتمتع الناس بالمحاورات التى تخلو خلوا كبيرا من الحركة والعاطفة ، ولا يطيقون شيئا إلى مدة طويلة دون الحركة والحيوية. والحوار هو الوسيلة التي استند اليها المازنى في تقديم موقفه إلى المتلقى ويستخدمه في رحلته بكثرة ويزيد به الحيوية والزينة. كما أرى في رحلة المازنى، عند ما قام مع أمير رابغ لأخذ صورة وتوجه نظره إلى جارته الرشيقة ، وتأثر بشعرها الجميل وعينيها الواسعتين اللتين يزينهما الكحل. فلم يتجول عيناه عنها. وبدأ الكلام معها ، ولكنها ما فهمت وكذلك المازنى، في أثناء ذلك جاء إلى المازنى زميله وغضب عليه وشده فجرى بينهما الحوار الطويل.

فتركته المازنى ومال إلى غيره وهمس في أذنه :

ألا ترى هذه السيدة ؟ ألم يرعك جمالها ؟

فقال : سيدة ؟ أى سيدة .... قال : هذا سنة "[37]

فكانه يتحدث أمامنا ونره ونستمع إليه ونتمتع به ، وهو يعبر عن موقفه بأسلوب خاص ، وهنا كانت للغة دور خطير في تصوير موقوفه ، فيستخدم اللغة التي تعطى لأسلوبه الحيوية الشاملة والحرية المؤثرة . وتجعل في شعور المتلقى التشوق إلى القرأة .

ويستخدم حوارا حيا بالمعنى الدقيق ويتمتع الناس بحيوياته. وقد نجح أسلوب الحوار في هذه الرحلة لأنه يدل دلالة كافية على المستويات الفكرية للشخصيات المختلفة ويشتمل على القيمة الروحية والفكرية وقيمتها السلوكية والذوقية والخلقية.

عندما ذهب الكاتب إلى مأدبة فلبس لباس السهرة ، وإهتم اهتماما كبيرا لحضورها. وخرج مع زميله إلى قصر الكندرة في الساعة التاسعة مساء لكنه طلب من السائق انزال الغطاء من نافذة السيارة ليرهم أهل جدة في ثياب السهرة . فيقول له : أنزل الغطاء فإنى أريد أن تكون السيارة مكشوفة. فصاح زميلى (ولكن الجو بارد والرياح عنيفة)

فقلت : أسكت أنت من فضلك ، أتريد أن تحترم أهل جدة منظرنا في ثياب السهرة، إنه منظر لا يرونه إلا في الندرة القليلة ، وحرام علينا أن نضن بهم عليهم . فقال يا أخى إن الطريق صحراء لا ناس فيه ولا شجر ، فاصنع معروفا ودع الغطاء مرفوعا"[38].

ومن وضعه سيستفيد القارئ كأن يلاحظ الحركة بعينه ويحس بالعواطف التي يوجهه ، وهو بذلك ينتقل إلى أن يصبح كأنه واحد من أولئك المحاورين الّذين يحاورون معه ويتحدثون. كما يقول محمد نجم في فن القصة " الحوار المعبر الرشيق من أسباب حيوية السرد وتدفقه، والكاتب النقى البارع هو الّذى يتمكن من

اصطناع هذه الوسيلة الفعالة، وتقديمها في مواضعها المناسبة [39]" فأجد أن المؤلف نجح في بث الحركة والحيوية في موقفه مما جعل الحوار طبيعيا وقريبا من الواقع .

اللغة في الرحلة:

اللغة أداة التواصل بين الأفراد، ووسيلة التعبير عن المشاعر والعواطف والانفعالات والاحساسات، وهى " ظاهرة أو حقيقة إجتماعية تستخدم لكى تثير عند الأفراد الأخرين استجابات محددة"[40] يستخدم الأديب الفاظا رقيقة عذبة تبعا لرقة المعنى وعذوبته والألفاظ هي أداة التعبير الأدبى كما يرى لطفى حيدر " هي أداة لنقل التجربة من الطرف الواحد إلى الطرف الأخر ، تؤدى وظيفتها ضعيفة أو كاملة بحسب طاقتها"[41] ، والألفاظ سلسلة رقيقة تتسابق إلى القلب والوجدان ، وتبعث في النفس الهدوء والاطمئنان .

والمازنى واحد من رواد الكتابة السردية ، وهو قادر على التعبير عن الأفكار، وتلوين الأحداث ورسم الصورة ، ونقل المشاعر والإحساس وايصالها إلى القارئ. وهو يستخدم الكلمات المألوفة والمتداولة على ألسنة الفصحاء ولها أثر كبير في العمل الأدبي فأرى في رحلته مثلاً يقول.

"وأيقنت وأنا واقف أن سادن الكعبة سيطير رأسه عن بدنه بغربة سيف ، وما على الأمير إلا يغمز بعينه واحد من عبيده أو يومئ له بإصبع فاذا الرأس يتدخرج على السلم ويهوى عند أقدامنا"[42].

فالفاظ أيقن ، سيطر، يغمز، يومئ ، يتدخرج ، يهوى ، تدل على فصاحة وسهولة وقرب الفهم.

والمازنى واحد من كتاب الذين تنقلوا بين الفصيحة، والعامية في إنتاجه الأدبي. وبالوقوف على نصوص المازنى، موضع الدراسة ، أجد أنه زواج بين الفصيحة والعامية في بعضها، ووظف الفصيحة في بعضها الأخر. ففي (رحلة إلى الحجاز) ظهر صوتان لغويان الأول فصيح مبسط. والثاني عامى حوارى. ومن الأمثلة السردية الفصيحة ما أخبر به المازنى عن هياج البحر على خبر زميله ، فقال: "لقد فاتنى نصف عمرى على التحقيق وأخشى أن يضيع النصف الباقي ونحن عائدون ، ولكننى كنت نائما هكذا متعارضا على طول السفينة. فبينما كانت أقدامكم أنتم ترتفع في الهواء ورؤوسكم تهبط إلى حيث تستحق، كنت أنا لا أشعر بأكثر من حركة التنفس. آه لقد تذكرت الآن أني كنت أحلم بأنى أسبح في الماء وأخبط فيه بذراعي"[43] ويقول في موقف آخر عن السادن " ومشى بي السادن خطوات ثم وقف بي ورفع يديه وراح يدعو وأنا وراءه ، وعيني إلى لحيته النشيطة التي كانت تتحرك مع الكلام ، وأقسم لقد نفستها عليه حتى لقد خطر لي أن أنزعها عن وجهه وألبسها بدلا منه"[44] .

فالمازنى من خلال المقطعين ، أجد لغته مبسطة ، مكثفة ، يخبر ويصف ويلون ويصور. وكانت الفاظه سهلة رقيقة مألوفة معبرة ومؤثرة. ومع ذلك فهى بعيدة عن الإبتذال والسوقية. ولهذا الوضوح بالألفاظ كان النص قمة بالتأثير النفسي ، والأداء الفني ، والجمال المعنوى. ولا أظن العامية قادرة بهذا القدر من الإيجاز والتأدية.

1 – الفصاحة وقوة الصياغة:

ومن الأمثلة السردية الدالة على ارتفاع مستوى الفصاحة وقوة الصياغة عند المازنى، قوله عن الأمير "ونظرته حين يصمت تبدو حزينة ، وفي تقوس شفتيه وذقنه مرارة لا تخلو من تصميم ، أما القوة فأيتها أنفه الأقنى وجبينه العريض. وأغرب ما في وجهه اجتماع اللين والصلابة والرقة والقوة ، واختلاط ذلك كله" [45].

فكلمات مرارة ، وتصميم ، واللين والصلابة ، والرقة والقوة دليل فصاحته.

2 – العمق والإيحاء:

والمراد بالعمق والدقة عند النقاد أنها " إصابة المتكلم في إختيار الكلمات التى تكون نصا في المعنى المراد، والتي تكون أشد دلالة على غرضه من الكلمات الأخرى التي قد تؤدية"[46].

ومن مقاطع النص السردية الموحية بعمق اللغة قوله : " ان لحنه كان يمزق أذني ويفسد علي تبتلي فى الطواف"[47].

و"وشعرت بأن معين حبي البنوي لها قد جاش واضطربت أعمق أعماقه وطغى وفاض من مقلتي فاستندت إلى حديد الباب وأسبلت الدمع"[48] وقوله : "فالآن أعود إلى هذا الشعر الذى كنت لا أطيقه فأرى الحياة تدب فيه وتفيض منه"[49] .

فكلمات ، تبتلي ، يمزق أذنى ، أعمق أعماقه ، وفاض من مقاتى وأسلبت والدمع وتدب وتفيض تدل على العمق والإيحاء .

فهو الأديب المبدع الّذى يبلغ رسالته إلى المتلقى بالألفاظ والتركيبات والدلالات المستمدة من تجربته. ولغته تتسم بالدقة والوضوح. واستخدم الكلمات استخداما إيحائيا ويحرص على إستخدام الرمز الصوتى الّذى يجسم مشهدا أو حدثا حيويا.

نتائج البحث

1 – إبراهيم عبد القادر المازنى شاعر مصرى من شعراء العصر الحديث ومن رواد الكتّاب .

2 – رحلة المازنى رحلة أدبية ، ذكر المازني فيها تفاصيل الحجاز ووصف طرقها ومبانيها وفنادقها والحرم والكعبة المشرفة والحجر الأسود وبئر زمزم في أسلوب رشيق ، وتحدث عن العادات والتقاليد السائدة في الحجاز في ذلك الوقت .

3 – قام المازنى بوصف دقيق وقدم صورة حية لمجتمع السعودى بوصف دقيق ، فوصف المشاعر والانفعالات والعادات والتقاليد والمواقف والأحوال والشخصيات والبيئة بصورة جميلة.

4– يستعين المازنى من الاستطراد والاسترجاع والوصف في أثناء سرد رحلته ، ويستخدم العنصر النفسى خلال سرد الأحداث والأفعال والمشاهدات ، ويخلق حيوية ويجعل به نصا فنيا. ويوصل الرسالة الحقيقية إلى القراء.

5 – أحداث رحلة المازنى مترتبة ومنظمة ولها ترتيب زمنى ووضع مكانى ويعطينا الفهم الكامل، ويسردها المازنى بأسلوب رشيق جميل .

6 – يقدم المازني الشخصيات من حيث البعد الجسمى والاجتماعى والنفسى ، ويصفها بكلمات وأفعال التي تدل على الحيوية والانفعال ، ويخلق للقارئ التشوق والتجسس حتى يود القارئ أن يتعرف عليها أكثر من ذلك ويقرأ عنها المزيد.

7 – يستخدم المازني حوارا حيا طبيعيا وقريبا من الواقع ، فكأنه يتحدث أمامنا ونره ونستمع إليه ونتمتع به.

8 – أسلوب المازني أسلوب أدبي جميل ورائع ، يستخدم الكلمات المألوفة والمعبرة والمؤثرة والمتداولة وقريب الفهم في نقل المشاعر ورسم الصورة وتلوين الأحداث والتعبير عن الأفكار.

الهوامش:

1 إبراهيم عبد القادر المازنى: العبقرى الذى ظلمه زمانه . /http://www.cairodar.com 2014 10-28 :date

2 المرجع نفسه.

3 "الشاعر والناقد المصري الساخر إبراهيم المازنى" محمد فاروق الامام ، رابطة أدباء الشام .
http://www.odabasham.net.date: 19-10-2013

4 صفحات من حياة عبد القادر المازنى " هبه رجا الدين – مجلة أقلام،٢٧-٩-٢٠٠٦م
date: 28- 10- 2014. http://www.aklaam.net/forum/showthread.php?t=7640

5 صفحات من حياة عبد القادر المازنى " هبه رجا الدين،٢٧-٩-٢٠٠٦م.
: 28-10-2014.http://www.aklaam.net/forum/showthread.php?t=7640.date

6) إبراهيم بن محمد بن عبد القادر المازني. 2008/08/05 - 23:55 ،
http://www.startimes.com. date: 28-10-2014.

7 وفاة الكاتب والشاعر إبراهيم عبد الماهر حسن
http://today.almasryalyoum.com/article2.aspx?ArticleID=264485.

8 ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١ ، ط/٢، ص٢٩٤

9 أحمد المثنى ، فن القصة مقالة نقدية ، طباعة مكتبه الفارس دير الزور ، ص٢٩٣

10 ادريس الناقوري، ضحك كالبكاء، دار الشؤون الثقافية العامة، ط/ 1 ، بغداد ١٩٨٦ م،ص١٢٧

11 إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحلة الى الحجاز ، ص١٣

12 المرجع السابق ، ص ٢٥

13 المرجع السابق ، ص٢٦

14 المرجع السابق ، ص٣٣- ٣٤

15 المرجع السابق ، ص ١٠٣

16 المرجع السابق ، ص٧٨

17 المرجع السابق ، ص٦٤

18 عبد الرحيم الكردى ، السرد في الرواية المعاصره ، مكتبة الأداب القاهرة ، ط١،٢٠٠٦م، ص١٠

19 سويدان سامى ، أبحاث في النص الروائى العربى ، دار الآداب ، ط:١، ٢٠٠٠م ، ص٢٧١

20 أنظر ، المازنى ، رحلة إلى الحجاز ، ص ١٠٦ – ١٠٧

21 أنظر : المرجع السابق ، ص٩٦

22 عبد الرحيم الكردى ، السرد ومناهج النقد الأدبى ، مكتبة الأداب القاهرة – ٢٠٠٤م ، ص٥٣

23 إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحلة إلى الحجاز ، ص٨٢

24 عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق ، مدخل إلى تحليل النص الأدبى ، دارالفكر للنشر ، ط٤، ٢٠٠٨م، ص١٢٤

25 إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحلة إلى الحجاز ، ص٣٧

26 المرجع السابق ، ص٤٩

27 المرجع السابق ، ص٥٠

28 محمد غنيمى هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٩م، ص٥٣٣

29 عز الدين إسماعيل ، الأدب وفنونه : دراسة ونقد ، دارالفكر العربى، بيروت، ط1، ١٩٧٦م، ص ١٠٧

30 إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحلة إلى الحجاز ، ص ١٩

31 المرجع السابق ، ص٢٣

32 المرجع السابق ، ص٦٤ – ٦٥

33 أنظر، رحلة إلى الحجاز، المازنى ، ص١١٤

34 أنظر، المرجع السابق، ص١٤١

35 توفيق الحكيم ، فن الأدب ، مكتبة مصر لمطبوعات ، ط:1 ،١٩٩٨م ، ص١٤٢ –١٤٣

36 صورة المرأة في مسرح توفيق الحكيم ، السيد محمد عبد اللطيف الحديدى ، ص١٤٧ ، دار السعادة – مصر ، ط/١، ١٩٩٨م

37 رحلة إلى الحجاز ، إبراهيم المازنى ، ص٢٢ – ٢٣

38 المرجع السابق ، ص١٠٠

39 محمد يوسف نجم ، فن القصة ، دار الثقافة – بيروت ، ط :٧ ، ١٩٧٩م ، ص١١٨

40 أحمد إبراهيم الهوارى ، نقد الرواية في الأدب العربى الحديث في مصر ، دارالمعارف ، ط:١، ١٩٧٩م، ص٧٧

41 لطفى حيدر ، محاولات في فهم الأدب ، دار المكشوف – بيروت ، ط :2 ، ١٩٥٤م ، ص٥١

42 إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحلة إلى الحجاز ، ص٧٩

43 المرجع السابق ، ص٧٣

44 المرجع السابق ، ص٤٣

45 المرجع السابق ، ص٦٤

46 محمد طاهر درويش ، في النقد الأدبى عند العرب ، مكتبة الشباب – القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص١٨٤

47 إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحلة إلى الحجاز ، ص٥٩

48 المرجع السابق، ص٥٦